منشورات أبناء الأنبا غريغوريوس

من روائع الأنبـا غريغوريوس

(٣)

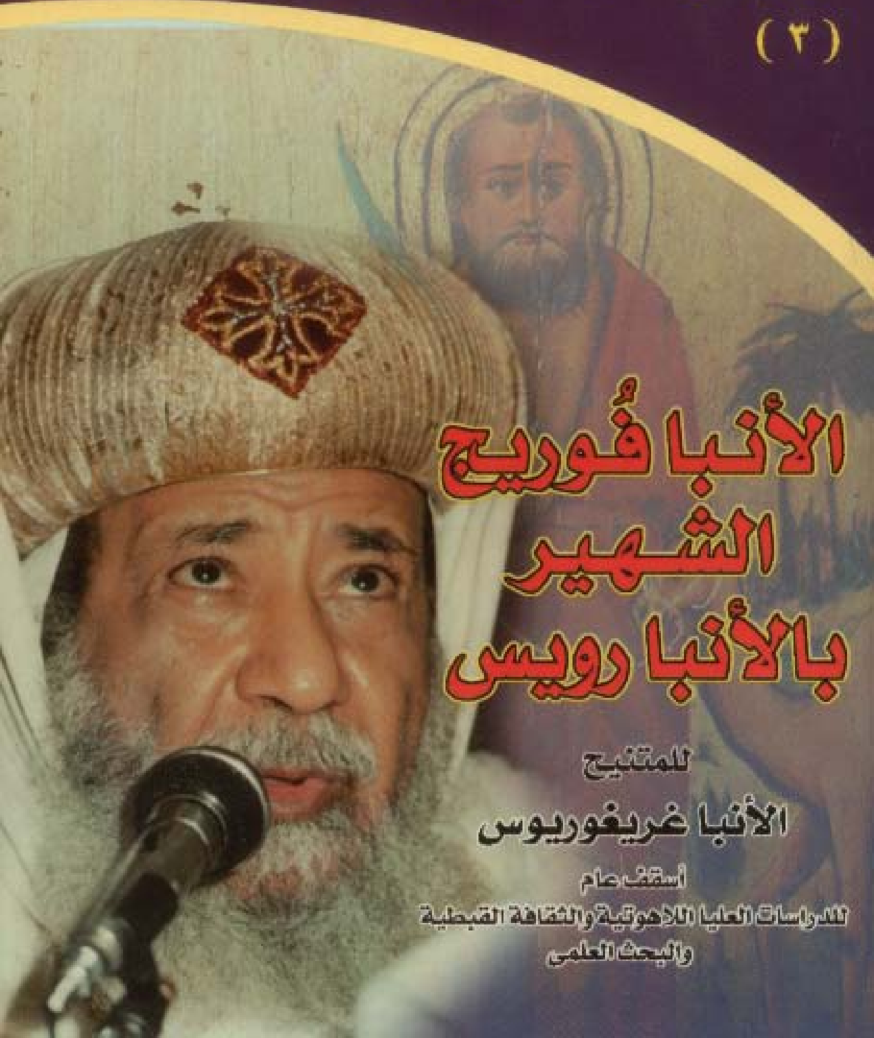

الأنبا فُوريج الشـهير بالأنبا رويس

للمتنيح

الأنبا غريغوريوس

أسقف عام

للدراسات العليا اللاهوتية والثقافة القبطية والبحث العلمي

الكــتاب : القديس الأنبا فُريج الشهير بالأنبا رويس.
المــؤلف : المتنيح الأنبا غريغوريوس.
إعــداد : الإكليريكى منير عطيه.
النــاشر : مكتبة المتنيح الأنبا غريغوريوس - دير الأنبا رويس
بالعباسية مصر. ت ٦٨٢٤٩٦٢ - ٤٨٨٢٥٢٢
المطبعــة : شركة الطباعة المصرية العبور ت ٦١٠٠٥٨٩
الجــمع : شركة فاين
رقم الايداع بدار الكتب: ١٥٣١٤/ ٢٠٠٣

حقوق الطبع محفوظة لمكتبة المتنيح الأنبا غريغوريوس

مقدمة

لنيافة الحبر جزيل الاحترام المتنيح الأنبا غريغوريوس كثير جداً من العظات والمحاضرات فى شتى الموضوعات والمناسبات المختلفة، مسجلة على شرائط كاسيت، وفى أثناء إعدادنا لبعض أعداد من موسوعة الأنبا غريغوريوس، وجدنا بعض الموضوعات المكملة للموسوعة، لم يتطرق نيافته لها بالكتابة، ولكنه تحدث عنها فى موضوعات وعظات مسجلة على كاسيت، فرأينا تفريغها وضمها إلى الموسوعة.

أما الموضوعات والعظات الأخرى، رأينا أن ننشرها كنبذات مفردة، كسلسلة جديدة من كتابات نيافته تحت عنوان «من روائع الأنبا غريغوريوس» لتخدم كل قطاعات

الشـعب القـبطى، وتكون فى مـتناول كل الأيدى، وتصلح للتـوزيـع فى الحـفلات والمناسبات لخـدمـة مـدارس التربـيـة الكنسية والأسر الجامعية.

أرجو أن يصلك هذا الكتيب عزيزى القارىء، فتستفيد به فى أقل زمن ممكن، وفى أى وقت من الأوقـات، كـوجـبـة سريعة دسمة تحمل لك كما كبيراً من المعلومات فى مختلف الموضـوعـات، والله وحـده قـادر أن يوفـقنا ويبـارك فى هذا العمل لمجد اسمه القدوس بصلوات صاحب الغبطة والقداسة البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث.

الإكليريكى منير عطيه

الأنبا فَريج الشهير بالأنبا رويس (١)

في الحادى والعشرين من شهر بابه القبطى (ويقابل الواحد والثلاثين من شهر اكتوبر ـ تشرين أول) رحلت إِلى كنيسة الأبكار في الأخدار السمائية، روح البكر البتول، والقديس الروحانى الأنبا فريج، الشهير باسم الأنبا رويس، والذى يرقد جثمانه مستريحاً مع أجساد أربعة بطاركة تحت مذبح الكنيسة الصغيرة الأثرية التى تسمى الآن باسمه، والتى كانت من قبل دفنه فيها تسمى بكنيسة القديس مرقوريوس أبى سيفين، ولكن لأن القديس الأنبا رويس من

(١) أعد من مقال مكتوب عن الأنبا رويس وعظتين مسجلتين على شرائط كاسيت الأولى صباح الأحد ٣١ اكتوبر ١٩٨٢م ـ ٢١ بابه ١٦٩٩ ش بكنيسة السيدة العذراء والأنبا رويس والثانية صباح الأحد ٣ نوفمبر ١٩٩١م ـ ٢٣ بابه ١٧٠٨ ش بكنيسة الأنبا فريج (الأنبا رويس) الأثرية ـ بالكاتدرائية المرقسية الجديدة بدير الأنبا رويس بالعباسية.

القرن الخامس عشر فغلب استخدام الأنبا رويس على هذه المنطقة وسميت دير الأنبا رويس بالعباسية، والذى كان يسمى سابقاً بدير الخندق. وفى أثناء بناء المقر البابوى وفى آخر نقطة فيه اكتشفوا الكنيسة الأثرية للقديس أبى سيفين، وأنا رأيتها بنفسى، المهم أن هذه المنطقة أصلاً لدير أبى سيفين، وإنما غلب استخدام الأنبا رويس لأنه هو الأحدث عهداً. فالمكان من الناحية المدنية يسمى دير الخندق ثم سمى دير أبى سيفين ثم الأنبا رويس.

ولد قديسنا الشهير فى حوالى سنة ١٣٣٤ لتجسد المسيح، فى ضيعة منية يمين بمحافظة الغربية، وتوفى فى ١٨ اكتوبر سنة ١٤٠٤ للميلاد. معنى هذا أنه عاش ٧٠ سنة.

اسمه الحقيقى بالميلاد هو فُريج ومنها جاءت كلمة فرج، وينطقونه بالقبطية بضم الفاء أو (فوريج) Phoreg كما

يسمى أيضاً فى المصادر الكنسية (الخولاجى) باسم (تيجى) Tegi وهو الاسم الذى أطلقه القديس على نفسه إنكارا لذاته، عندما سئل مرة عن اسمه.

كان رجلاً يعيش فى الخفاء، له روحانية غير عادية، لم يكن راهبا ولم يكن كاهناً، وإنما كان رجلاً علمانياً من المؤمنين، لكنه وصل إلى مراحل روحانية عالية، وصل للسياحة وإلى الاختطاف العقلى، ولكى ينكر نفسه أطلق على نفسه اسم تيجى.

وأما الاسم «رويس» فقيل إنه الاسم الذى تنكر تحته بصعيد مصر، وفى حقيقته هو اسم تصغير باللغة العربية العامية لكلمة «رأس» وهى رأس (القعود) وهو الجمل الصغير الذى كان يلازم القديس دائماً ويتبعه كظله بالنهار والليل، والذى من فرط حبه له أطلق أسم رأسه الصغير عليه ،

موضوع الحيوانات مع القديسين موضوع كبير تكتب فيه كتب، هناك كثير من أنواع الصداقة والمحبة التى تكونت بين القديسين وكثير من الحيوانات، حتى الحيوانات المفترسة مثل الضبع والأسد تصادقوا مع هؤلاء الروحانيين، لأنه عندما تنحل العداوة بين الله والإنسان تنحل أيضاً بين الإنسان والطبيعة، فتصبح الحيوانات صديقة للإنسان، هناك كثير من الأمثلة التى ارتبط فيها اسم قديس مع اسم حيوان معين، نستطيع أن نجمع الكثير من كتب السنكساروالرهبنة ويكفى أن نقدم مثل واحد لأحد الأباء الرهبان النساك الذى كانت هناك ضبعة صديقة له رغم شراسة الضباع، وفى مرة جاءت الضبعة لهذا القديس تشده من ملابسه، فسار وراءها، حتى وصلت الضبعة

وكرها، فرأى القديس ثلاثة ضباع صغيرة فعرف أنهم صغار الضبعة ولكنه وجد هذه الضباع الصغيرة مصابة بعاهات مختلفة، فصلى لهذه الصغار فشفيت. هذه هى الصداقة والدالة التى ربطت بين القديسين وبين الحيوانات. فقد كان هذا القعود يداعب سيده فُريج، ويغطِّيه إذا نام بدون غطاء ، كما كان يوقظه في مواعيد الصلاة. طبعا أشياء غريبة وعجيبة جداً ، كيف أن القعود كان يوقظه لكى يقوم يصلى، هذه الأشياء الغريبة لا أستطيع أن أقول أنها تخضع للمنطق العقلى، ولكنها صورة من صور الصداقة بين القديسين والحيوانات.

نشأ القديس فُريج أو رويس فلاحاً كأبيه إسحق، وكانت والدته تسمى ساره وكان فى شبابه المبكر يعاون والده الفلاّح بالعمل معه فى الحقل، كما كان يحمل المِلح على

جمله الصغير وهو القعود «رويس» ويبيعه للراغبين فى الشراء. ومالبث أن وهب نفسه لحياة «الصلاة التى بلا إنقطاع» التى قال عنها الكتاب المقدس فى تسالونيكى الثانية «صلوا بلا إنقطاع» ،وكلمة صلوا بلا إنقطاع ليس معناها أن الإنسان يصلى الصلوات العادية بمواعيدها فقط، بل يشغل نفسه بالصلاة فى أثناء أى عمل يقوم به، وهو يزرع الأرض يصلى «يارب ازرع الفضيلة فىّ» وهو يغسل طبق يصلى «يارب اغسل قلبى ونقنى من الخطايا»، هكذا فى كل عمل يعمله يتخذ من هذا العمل فرصة للصلاة، وبذلك يعيش حياة الصلاة بلا انقطاع، بل كان الأنبا فُريج يقضى أُوقاتاً طويلة فى خلوات روحية كانت تمتد أحياناً إلى شهور يختفى فيها عن عيون الناس وينقطع فيها عن اتصالاته بالمجتمع ، يعكف فيها على الصلاة والتأمل. وهذا يعطينا

فكرة أن المؤمن العلماني العادى يستطيع أن يصل إلى درجات القداسة العالية جداً، لو اهتم بأن يقدس روحة ويعيش هذه الحياة الروحانية العالية من دون أن يلبس زى معين. ولكنه يهب حياته عملياً للصلاة والتأمل.

ولقد عاش طوال حياته زاهداً ناسكاً، وكان يقنع بالقليل من الطعام والشراب، وبالتافه من الملابس الذى لا يكاد يستر غير القليل من جسده. أما الباقى من مساحة بدنه فكان يتركه لحر الصيف وبرد الشتاء، كان يعلم أن كل هذه الأمور المادية باطلة وكان يوجه قلبه ووقته وأعصابه للأشياء الجوهرية المهمة وهى التأمل والصلاة والشخوص فى الله، كما كان يمشى عارى الرأس أشعث الشعر، وذلك ليمارس حياة التجرد المطلق من كل شىء، فلم يكن له من

قنية غير جمله الصغير «رويس» وهذه ما يسموها حياة التجرد من القنية، ولم يكن له مكان «يسند إليه رأسه» فكثيراً ما كان يستلقى راقداً على قارعة الطريق، وهذا ما كان يعرضه لكثير من الإهانات وضروب السخرية من جانب صبية الشوارع وبعض الغوغاء ممن لا يعرفون قدره فكانوا يضحكون عليه، إذ كانوا لا يدركون أنه يُخفى روحانيته بتصرفات غريبة.

هذا هو منهج التخفى الذى سار عليه كثير من الأشخاص الروحانيين ليحولوا نظر الناس عنهم ولا يضفوا على أنفسهم هالة حتى لا ينالوا مدحاً ولا كرامة، أو يحس الناس أنهم قديسين فبهذه التصرفات الغريبة يصرفون الناس عن تكريمهم أو تمجيدهم أو مدحهم أو احترامهم بل

على العكس ينالون تحقيراً من الناس أو سخرية بهم وكانوا يفرحون بهذه الشتائم والإهانات بل أحياناً كانوا يطلبوها فمنهج التخفى هذا ساعد الروحانيين إلى الإرتفاع لمراقى الحياة الروحية العالية، فالحقيقة طوبى للإنسان الذى ينمو والناس عنه نيام، وهذا ما قاله سيدنا له المجد «النبات ينمو والناس نيام» وأيضا هؤلاء الروحانيين بمبدأ التخفى يهربون من حسد وحروب ومعاكسات الشياطين.

أنا رأيت فى دير الأنبا انطونيوس فى عام ١٩٦٣ راهب بسيط وقديس اسمه أبونا يسطس، دخلت القلاية الخاصة به لم أجد فيها شيئاً، لا يوجد عنده طبق أو فوطة أو شلته يجلس عليها، لا يملك شيئا يجلس على الأرض، قلبه لا يتعلق بشىء، تجرد من القنية وتجرد من المكان حتى

القلاية لا يحس بملكيته لها، من الممكن أن يتركها فى أى وقت ويذهب إلى أى مكان آخر، تخلص تماماً من تعلقات الملكية وهذه درجة غير عادية فى الروحانية، طبعاً كان رجل قديس هو الآن فى العالم الآخر، ولكنه كمثل ونموذج لحياة الراهب السائح القديس.

كان الأنبا رويس من هذا الطراز الذى يحب أن يسخر منه الناس ويضحكون عليه، ليعطوه فرصة للنمو الباطنى وأيضاً حتى لا تحسده الشياطين، أنا أيضاً رأيت راهب كان فى المناهره اسمه أبونا عبد المسيح المقارى، وكان هذا الراهب من هذا الطراز أيضاً الذى كان يفرح أن يشتموه ويسخروا منه حتى لا ينال كرامة من الناس.

على أنَّ هذا الرجل البسيط الأنبا رويس عاش حياة

شظف وقسوة ، لا توجد فيها نعومة وسهولة الإنسان العادى، ومارس الأصوام العنيفة التى مارسها من قبله كبار الروحانيين، فقد كان يصوم يومين يومين، وثلاثة ثلاثة، صوماً إنقطاعياً، وصام مرة أسبوعاً كاملاً، وصام مرة أخرى أحد عشر يوماً متوالية كما شهد عنه البطريرك الأنبا متاؤس البابا السابع والثمانون الذى عاصره وهو مدفون تحت فى كنيسة الأنبا رويس وكان صديق الأنبا رويس، وكان هذا البطريرك رجل قديس وكان رجل روحانى، وبلغ من روحانيته أن حاكم البلد كان يستشيره فى شئونه الخاصة، ولذلك كانت حالة الأقباط طيبة جداً فى عهده، وبسبب قداسته وروحانيته العالية كان يرى الملاك ميخائيل والقديس مارجرجس معه وأمامه فى الطريق. ومرة أُخرى صام الأنبا رويس ٢٦ يوماً صوماً متواصلاً بغير إنقطاع هذا

فيما عدا المرات التى لم يتوصل إلى معرفتها أحد، فقد كان يختفى كثيراً، ويمارس فى خلواته الطويلة رياضات روحية كانت ترفع عقله وروحه إلى الرؤيا الطوبانية (الثيئورية) التى قال عنها الرسول بولس: «آتى إلى مناظر الرب وإعلاناته أعرف إنسانا...» وهذا هو الاختطاف، ففى الرؤية الثيئورية وهى أعلى درجة فى درجات الرهبنة التى يصل الإنسان إليها بالتسامى وحصار الروح فيرى المكاشفات الروحانية، والأنبا رويس وصل إلى هذه المرحلة التى فيها يختطف العقل لكى يعيش فى السماء وهو على الأرض.

ونظراً لتلك الرياضات الروحية من أصوام وصلوات وتأملات عالية فى أماكن الخلوات، كان له نصيب وافر من المكاشفات الروحانية التى كانت تعزيه وتقويه وتجعله دائماً

شاخصاً فى الإلهيات. ولقد حظِى الأنبا فُريج برؤياه للمسيح خمس مرات، كما خاطبه المسيح له المجد مرة فما لأذن. ولهذا السبب صار الأنبا فُريج يُلَقَّب فى الكنيسة بلقب اختص به بين القديسين وهو «ثيوفانيوس Theophanios أى «الذى رأى الله».

ونحن نقول فى اللحن ثيئوفانيوس أى الذى رأى الله، رأى الله وهو فى الجسد، كما حدث فى التجلى ليوحنا الرسول ومن إليهم من كبار آبائنا الرسل ولذلك أخذ لقب ثيئوفانيوس.

هذه المكاشفات والرؤى مثل ما حدث مع القديس بولس الرسول عندما يقول: «كنت أصلى فى الهيكل أنى حصلت فى غيبة فرأيته قائلاً لى أسرع واخرج عاجلاً من أورشليم

لأنهم لا يقبلون شهادتك عنى» (أعمال ٢٢: ١٧، ١٨). هذه الرؤيا تختلف عن الحلم، فالحلم يراه الإنسان وهو نائم، ولكن الرؤيا يراها الإنسان وهو مستيقظ مثل رؤى الأنبياء القديسين حزقيال ودانيال، والرسول بولس يقول: «كنت أصلى فى الهيكل.. فرأيته» رأى المسيح وهو يصلى، هذه هى الرؤيا الطوبانية، يرى وهو مستيقظ ولكن كل الحواس عنده تكون غائبة، يقول «حصلت فى غيبة» أى كل حواسه غائبة، من يكلمه لا يسمعه لأن أذناه معطلتان، عينيه لا ترى، هذه هى الغيبة، فيكون الحس المادى غائب ولكن عقله شاخص ومشدود للسماء.

هكذا الأنبا رويس وصل لهذه المرحلة على الرغم أنه ليس راهب ولا كاهن، وهذا حسن جداً لنا يا أولادنا لأنه

يرينا أن طريق الفضيلة وطريق الروحانية مفتوح ليس للرهبان والكهنة فقط، بل أيضاً للعلمانيين والمؤمنين إذا سلكوا بقلوبهم وحواسهم هذا النوع من الحياة.

ومن بين المكاشفات الكثيرة التى تمتع بها الأنبا رويس. أنه رأى كائنين فى صورة رجلين مضيئين يلمعان كالبرق، اختطفاه وحملاه إلى السماء، ثم أدخلاه إلى كنيسة، هناك رأى فيها جمهوراً كبيرا من العابدين، وسمع صوتاً من داخل يدعوه قائلاً: «أنت جوعان يا هذا، فتقدَّم وكلْ من خبز الحياة» وعندئذ قدَّمه الرجلان الروحانيان من المائدة المقدسة، فتناول ثم أعاداه من فوره إلى الموضع الذى أخذاه منه. ومنذ تلك اللحظة كان يحرص أشد الحرص على التقرب دائماً من القربان المقدس، وإن كان فى كل مرة يتقدم برهبة كثيرة وارتعاد حتى إنه كان يتراجع كلّما تقدم،

مما كان يسبب للكاهن تعبا، فكان ينتهره ويزجره، خوفاً أن تقع منه الجواهر، أما هو فكان يرى بعينين مكشوفتين مالايراه غيره من البشر بعيونهم المجردة.. كان يرى الأسرار مكشوفة على صورتها الحقيقية كان يرى مجد الله حالا على الأسرار المقدسة فى الهيكل، كما كان يرى الكروبيم والسيرافيم متهللين وخاشعين.. كما يقول الشماس «ارفعوا أعينكم نحو المذبح تجدون المذبح وجسد ودم عمانوئيل والكاروبيم والسيرافيم، فالأنبا رويس كان عنده الشفافية الروحية، ولذلك عندما كان يرى الأسرار يرتعد ولقد أجاب مرة على من سأله عن سر تراجعه وتردده أثناء التناول بأنه «لا يستحق التناول من هذه الأسرار المقدسة إلا من كان جوفه طاهراً نقياً، كأحشاء سيدتنا الطاهرة مريم التى استحقت أن تحمل المسيح فى أحشائها».

ومن بين تلك المكاشفات أنه كان مضروباً، فأدخلوه إِلى مخزن أقام فيه مدة سنتين مريضاً. وفى الليلة التى دخل فيها إِلى المخزن، رأى داخل المخزن شبه نار تشتعل، ورآها معه الذين حوله فجزعوا. أما هو فطمأنهم قائلاً: لا تظنوا أنها نار.. إنها نور سيدنا يسوع المسيح، وقد ظهر لى إِتماماً لوعده القائل فى المزمور «إنه يعينه على سرير وجعه». وكان ذلك تعزية سماوية له.

ومن فرط شفافيته كان يرى الأحداث البعيدة عنه رؤيا العيان رغم بعد المسافات: فقد رأى روح القديس مرقس الأنطونى صاعدة بعد وفاته، فأنشد القديس فُريج يصيح بصوت مرتفع سمعه الناس من حوله: «يا لحسرة أولادك من بعدك يا مرقس.. يا لخسارة تعاليمك التى سينقطع نورها عن جيلك.» !! وهذه الحالة لا يصل إليها الإنسان إلا

لو أعطى الروح الإنسانية التى هى جوهرة من الله وعلى صورته ومثاله، الغذاء الروحى الكافى والتقدم فى الفضيلة والقامات الروحية.

ولقد وهبه الرب موهبة الاختطاف بالجسد لينتقل بها من مكان إلى مكان، لإنجاز بعض المهام الروحية، ومنها إنقاذ من يستغيث بصلواته للخلاص من ضيقة، أو لتحقيق غرض من الأغراض الروحية. والاختطاف نوعين اختطاف بالروح واختطاف بالجسد، والاختطاف بالجسد مثل ما حدث لفيلبس الشماس الذى اختطفه روح الرب من غزه فوجد فى أشدود بعد أن عمد وزير الحبشة (أعمال ٨: ٣٦ ـ ٤٠). ومثل ما اختطف الملاك حبقوق النبى من جمة رأسه وأوصله من فلسطين إلى بابل لكى يقدم الأكل لدانيال

دلالة عناية الله به، ثم أعاده الملاك مرة أخرى، وهذه مذكورة في دانيال، وهناك بعض القديسين كانوا يختطفوا بالجسد مثل الأنبا أنطونيوس والأنبا بولا. ومثل الأنبا رويس.

ومن ذلك إن إمرأة من شهيرات القبط، وكانت تسمى (بنت الزهرى)، سافر زوجها مع الأمير (منطاش) إلى الشام وانقطعت عنها أخباره، فاستغاثت بالقديس الأنبا رويس، فقال لها القديس: «لا يمكنني أن أساعدك مالم أتوجه إلى الشام، وأقف بنفسي على أحوال زوجك.». ثم نهض على الفور وسار في الطريق إلى (قناطر الأوز) المؤدية إلى الشام، وغاب نحو ساعة، ثم عاد إلى المرأة، فلما أبصرته قالت له باكتئاب: «هل رجعت عن رأيك؟ ألم تعدني بالسفر

إلى الشام لتطمئنى على صحة زوجى وأحواله» ؟ فأجابها قائلاً: «لقد بررْتُ بوعدى، وكنت فى هذه الساعة بالشام، ورأيت زوجك، وأنقذته من أعدائه وهو الآن بأمان «فاندهشت المرأة من مقاله ولم تفهم شيئاً.» فلما رجع زوجها سألته عن أخباره، فقال لها: عند عودتى من الشام ثار علّى الجنود المنطاشية وأرادوا الفتك بى فى الصحراء، ليستولوا على مابعهدتى من الأموال. وإذا بشيخ عارى الجسد مكشوف الرأس: كان على رأس جماعة، هجم عليهم وبدد شملهم، ثم رافقنى هو وجماعته حتى أوصلونى إلى الوطاق السلطانى عند الملك الظاهر برقوق، ففرح بى كثيراً وقصصتُ عليه كيفية خلاصى من الجنود. فتعجبَ ثم سألنى عن الشيخ العريان ومقره، فلم أستطع أن أدله عليه»، فهتفت المرأة فى الحال متهللة وأجابت زوجها: «هذا الشيخ

العريان هو أبونا الطوباوى رويس، وهو الذى شفى بصلواته عينى من الرمد، وهو الذى استغثتُ به عند غيابك الطويل بالشام، فأنقذك» .

هذا الرجل لم يكن كاهناً ولم يكن راهباً إنما كان ينتسب إلى طبقة المؤمنين عامة الشعب الذين نسميهم بالعلمانيين ومع ذلك أخذ لقب الأنبا بمعنى الأب، لا لأنه كان كاهناً ولا لأنه كان راهباً، وإنما لأنه أصبح بالنسبة لكثيرين أب، والد وأصبح له تلاميذ فى الروحانية وفى القدوة، وفى نموذج السيرة، فسمى بكلمة الأنبا رغم أنه علمانيا.

وهذه نقطة جميلة فى تاريخنا وفى الكنيسة، لأننا باستمرار نسمع فى السنكسار عن هذا القديس أو ذاك، أنه كان كاهناً أو كان راهباً أو كان بطريركاً أو كان أسقفاً، فكون

الكنيسة تهتم بأن تعيد لمثل هذا القديس العلمانى، معناها أنها تفتح المجال بأن نتعلم أن القداسة ليست وقفا على رجال الكهنوت أو على الرهبنة، إنما العلمانيون من الرجال ومن النساء من الممكن أن يصلوا إلى مرتبة القداسة والروحانية.

وأيضاً فى تعليم الكنيسة أن مانسميهم بالعلمانيين أو المدنيين ليسوا خوارج على نظامنا الكنسى، إنما العلمانيون أعضاء حية فى جسم الكنيسة، وكما يقول الكتاب المقدس مبنيين كحجارة حية بناء كهنوتياً هيكلاً مقدساً للرب، كل علمانى وقد تعمد بالمعمودية المقدسة فأصبح عضوا فى جسد المسيح ودهن بالميرون المقدس فى ست وثلاثين موضعاً فأصبح مسيح الرب، وهذا ما قاله أحد القديسين

الكبار، القديس كيرلس الأورشليمى فى القرن الثالث للميلاد قال: نحن نسمى مسيحيين ليس فقط لأننا نحن نتبع المسيح ونعبد المسيح، وإنما أيضاً لأنه بعد خروجنا من جرن المعمودية مُسحنا بالمسحة المقدسة، فأصبحنا مسحاء، فكل مسيحى تعمد بالمعمودية المقدسة ومسح بالمسحة المقدسة حل عليه الروح القدس وامتلأ من الروح القدس وصار مسيح الرب. هذه الكلمة كانت تقال على الأنبياء والملوك والكهنة فقط، فعندما النبى أو الملك أو الكاهن يمُسح بالمسحة المقدسة ويُسكب عليه من قرن المسحة التى كانت مقدسة، كان يسمى مسيح الرب. طبعاً الكهنوت له دعوة أخرى هى الدعوة الخاصة ليصبح كاهناً للرب بالمعنى الخاص للكلمة، والتى بها يصبح الإنسان مسئولاً أمام الله أن يوزع من الأسرار المقدسة على سائر المؤمنين ويكون مؤتمنا ووكيلاً

ويصير أمين مخازن لمواهب الروح القدس التى يمكن أن يوزعها على سائر المؤمنين، هذا هو الكهنوت الخاص، لكن كل مسيحى تعمد ومسح بالمسحة المقدسة أخذ ما نسميه فى الكنيسة بالكهنوت العام. أرجو أن تفهموا هذا. كل واحد مسيحى مُسح بالمسحة المقدسة أصبح كاهناً بالمعنى العام للكلمة، هذا الذى نسميه الكهنوت العام، وهذا غير الكهنوت الخاص الذى ينال بالرسامة ويصبح الإنسان ليس كاهناً لنفسه فقط ولكن كاهناً للكنيسة كلها. فمثل ما قال الأباء أن المسيحى الذى مسح بالمسحة المقدسة يصبح كاهناً ونبياً وملكاً لكن بالمعنى العام لا بالمعنى الخاص، بمعنى أنه باعتبار أنه أخذ الروح القدس فى المسحة المقدسة فيصبح نبياً، أى أنه أصبح فيه نوع من الإلهام والتعليم السماوى كما قال المسيح عن الروح القدس: «يذكركم بكل ما قلته لكم،

يعلمكم ويخبركم بأمور آتية» بالنسبة للماضى يذكر، بالنسبة للحاضر يُعلم، بالنسبة للمستقبل ينبىء، لذلك نجد من المدنيين أو العلمانيين ومن غير الكهنة من صارت لهم روح النبوءة، لأن الروح القدس ينيرهم داخلياً فيمكنهم أن ينبئوا بأمور آتية، سواء كان فيما يتصل بحياتهم الخاصة أو فيما يتصل بالآخرين أيضاً، لكن لا كمثل النبى إشعياء وأرمياء ومن إليهم، كذلك يصبح ملكاً لكن ملك ليس بالمعنى المحدود للكلمة مثل الملك فاروق أو فؤاد، أو ملك انجلترا أو ملك فرنسا.. لا ولكن بمعنى ملك على ذاته «ومالك روحه خير من فاتح مدينة» ولذلك نحن عندما نصلى صلاة الساعة الثالثة نقول روح النبوءة والسلطة، السلطة أى يصبح الإنسان ملك على ذاته غير مستعبد لشهواته إنما يصبح هو المسيطر على ذاته.

وأيضاً كل مسيحى ممسوح بالمسحة المقدسة يصبح كاهن لأنه يقدم ذبيحة الصلاة، بالمعنى المحدود لكلمة كاهن، لأنه يقدم جسده ذبيحة لله ولأنه يقدم الصلاة على مذبح القلب. لكن طبعاً ليس له أن يقدم الذبيحة على الهيكل فى الكنيسة. إنما على مذبح القلب يرفع الصلاة.

أقوال هذا الكلام بمناسبة احتفالنا بعيد القديس الأنبا فريج أو الأنبا رويس، أنه لم يكن كاهنا ولا كان راهباً ولا كان أسقفا، ولكنه كان بتولاً، وكان طاهرا، وكان يحيا حياة العفة الكاملة ووصل إلى هذه المقامات الروحية العالية.

يكفى هذا للدلالة على روحانية هذا الرجل القديس، ونحن فى هذا اليوم نذكره ونترحم عليه ونتشفع به، ونسأل صلواته، فإنه من خلال صلواته وبركاته أصبح هذا المكان

مشحوناً بطاقات روحية عظيمة، وأيضاً ببركات كثيرة لخير القبط عموماً وخير مصر أيضاً، فببركة قديس هذه المنطقة تمت هذه الإنشاءات الكثيرة، وأول مابدأت بدأت بمبنى الأنبا رويس وهو مبنى الكلية الاكليريكية ثم مبنى البابا كيرلس السادس سنة ١٩٦٠ ثم الكاتدرائية سنة ١٩٦٨ ووضع حجر أساسها كان عام ١٩٦٥، وأحضر رفات مارمرقس فى ٢٤ يونيه ١٩٦٨ وأقيم أول قداس فى الكاتدرائية رأس خدمته البابا كيرلس السادس واشترك معه البطريرك المتنيح ماراغناطيوس يعقوب بطريرك السريان الأرثوذكس فى ٢٦ يونيه ١٩٦٨، ثم أحضر رفات القديس أثناسيوس الرسولى فى مايو ١٩٧٤، وبعد ذلك بنى المقر البابوى والمبانى الأخرى.

ونرجو أن يكون لنا قدوة ومثالاً خصوصاً للعلمانيين منا، فنرى من خلال سيرة هذا الرجل العظيم إمكانية أن الإنسان وهو علماني يستطيع أن يصل إلى مرتبة القداسة وإلى الروحانية العالية، حتى أن عقله يختطف إلى السماء ، وأيضاً ينعم بأن يرى المسيح الرب على الأرض رؤية عيانية حقيقية كاملة. وأيضاً نستفيد من صلواته ودعواته ونطلب شفاعته مع شفاعة القديسين. بركة صلواته فلتشملنا جميعاً ولإلهنا الإكرام والمجد إلى الأبد. آمين.